

أحكام التعزية - دراسة فقهية مقارنة -

د. عادل مبارك مهدي المطيرات *

* مدرس بقسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية - في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت.

ملخص البحث:

هذا البحث يتحدث عن موضوع يتعلق بأحكام الجنائز في كتاب الصلاة، وهو موضوع أحكام التعزية، بينت فيه معنى التعزية، وهو: الأمر بالصبر، والحمل عليه، بوعد الأجر، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة، وأنها مستحبة، ومأجور فاعلها. وأن الحكمة منها: أنها تهون المصيبة، وتحض على التزام الصبر واحتساب الأجر، وفيها الدعاء للمعزى بالتعويض عن مصابه، والدعاء للميت بالرحمة والاستغفار.

كما ذكرت أن التعزية تكون لأهل الميت جميعاً: رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، ما داموا مسلمين، وأنه يجوز تعزية المسلم بالكافر، وتعزية الكافر بمصابه بالمسلم، ما دام في ذلك مصلحة راجحة.

وبينت صيغة التعزية المستحبة، وأنها تستحب بكل صيغة يكون فيها تسلية المصاب من أهل الميت، وحثه على الصبر، بشرط خلوها من المحاذير الشرعية.

وذكرت وقت التعزية، وأن التعزية تشرع قبل الدفن وبعده، إلا أن الأفضل أن تكون بعد الدفن، إلا عند خوف الجزع فتكون قبله. وكذلك لا تحدد التعزية بثلاثة أيام، فيجوز التعزية بعد الثلاثة ما دام في ذلك تسلية للمصاب، وهذا يتفق والحكمة من مشروعيتها.

وبينت مكان التعزية، وأنه يشرع الجلوس للتعزية، واستقبال المعزين في مكان معين، بشرط عدم وجود منكر أو بدعة.

بينت - في كل ما سبق - أقوال الفقهاء وأدلّتهم بشيء من التفصيل والبيان، فكان البحث مهماً بهذا المجموع، إذ يعطي تصوراً واضحاً وبياناً وافياً، لكل ما يتعلق بالتعزية من أحكام.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تناول الفقهاء - في باب العبادات - ما يتعلق بأحكام الجنائز، فذكروا الأحكام المتعلقة بالاحتضار، ثم ما يكون عند الموت، ثم أحكام الغسل والكفن والدفن، ثم أحكام الصلاة على الجنازة.

ومن الأحكام المتعلقة بهذا الباب: ما يتعلق بأحكام التعزية، فتناول الفقهاء أحكام التعزية من حيث وقتها ومدتها وصيغتها وغيرها من الأحكام، وهذه الأحكام منتشرة في ثلثي أمهات كتب الفقه، فأحببت أن أجمعها في بحث مختصر، أبين فيه ما قاله الفقهاء وما سطره من أحكام حول هذا الموضوع المهم الذي يكثر السؤال عنه في هذا الزمن، حيث تطور مفهوم العزاء، وكثرت فيه أمور لم تكن موجودة فيما مضى، فوجب إفراده بالبحث والدراسة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى ثمانية مباحث، جاءت كما يلي:

المبحث الأول: تعريف التعزية.

المبحث الثاني: حكم التعزية.

المبحث الثالث: الحكمة من التعزية.

المبحث الرابع: لمن تكون التعزية: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: هل يعزى المسلم بالكافر؟

المطلب الثاني: هل يعزى الكافر؟

المبحث الخامس: صيغة التعزية.

المبحث السادس: وقت التعزية.

المبحث السابع: مدة التعزية.

المبحث الثامن: مكان التعزية.

ثم ختم البحث بخاتمة فيها أهم نتائج البحث.

والله أسأل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، إنه سميع مجيب.

المبحث الأول تعريف التعزية

* التعزية لغة:

مصدر عزَّى: إذا صَبَّر المصاب وواساه. يقال: عزَّيته تعزية. والعزاء: الصبر عن كل ما فقدت. تقول: عزيت فلانا أعزَّيه تعزية، أي آسيته، وضربت له الأسى، وأمرته بالعزاء فتعزَّى تعزياً، أي تصبَّرَ تصبراً، وتعزَّى القوم: عزى بعضهم بعضاً^(١).

وعلى هذا فالتعزية لغة تأتي بمعنى: التآسي والتصبر عند المصيبة.

* التعزية اصطلاحاً:

ذكر الفقهاء بعض التعاريف الخاصة بالتعزية ولا تخرج في مجملها عن المعنى اللغوي لها، أذكر بعضاً منها مثلاً لا حصراً:

١ - قال ابن عابدين الحنفي: (قوله "وبتعزية أهله": أي تصبيرهم والدعاء لهم به)^(٢).

٢ - قال الدردير المالكي: (ونذب تعزية لأهله، وهي الحمل على الصبر بوعد الأجر، والدعاء للميت والمصاب)^(٣).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥٢/١٥) مادة (عزا)، تاج العروس للزبيدي (٣٩/

٢٨) مادة (عزي)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢٣٣/٣).

(٢) حاشية ابن عابدين (٦٠٣/١)، وانظر: للأحناف: فتح القدير (١٤٢/٢)، الفتاوى الهندية (١٦٧/١)، تبين الحقائق (٢٤٦/١).

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (٤١٩/١)، وانظر: للمالكية: حاشية الخرشي على مختصر خليل (١٢٩/٢)، والذخيرة للقرافي (٤٨١/٢).

- ٣ - قال الشربيني الخطيب الشافعي: (وهي لغة: التسلية عمن يعز عليه، واصطلاحاً: الأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر، والتحذير من الوزر بالجزع، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة)^(١).
- وقال النووي: (التعزية هي التصبير، وذكر ما يسلي صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهون مصيبتَه)^(٢).
- ٤ - قال البهوتي الحنبلي: (معنى التعزية: التسلية والحث، أي حث المصاب على الصبر بوعد الأجر، والدعاء للميت إن كان مسلماً)^(٣).
- وقال ابن قدامة: (والمقصود بالتعزية: تسلية أهل المصيبة، وقضاء حقوقهم، والتقرب إليهم)^(٤).

-
- (١) مغني المحتاج (١/٣٥٥).
- (٢) الأنكار، وانظر: للشافعية: المجموع للنووي (٥/٣٠٤)، والحاوي للماوردي (٣/٦٥)، حاشية قليوبي وعميرة على المنهاج (١/٣٤٢).
- (٣) كشف القناع (٢/١٦٠).
- (٤) المغني (٢/٢١١)، وانظر: للحنابلة: المبدع (٢/٢١١)، والمحرم لمجد الدين أبي البركات (١/٢٠٧).

المبحث الثاني حكم التعزية

اتفق الفقهاء على استحباب تعزية أهل الميت، لا خلاف بينهم في ذلك، وعلى هذا عباراتهم، ومنها:

١ - في حاشية ابن عابدين: (وتستحب التعزية للرجال والنساء اللاتي لا يفتن)^(١).

٢ - قال الدردير: (وندب تعزية لأهله...) ^(٢).

٣ - قال النووي: (قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله: التعزية مستحبة) ^(٣).

٤ - قال ابن قدامة: (ويستحب تعزية أهل الميت، لا نعلم في هذه المسألة خلافاً إلا أن الثوري قال: لا تستحب التعزية بعد الدفن لأنه خاتمة أمره) ^(٤).

٥ - قال الوزير ابن هبيرة: (اتفقوا على استحباب تعزية أهل الميت) ^(٥). وظاهر عبارات فقهاء المذاهب تشير إلى استحباب التعزية، ولم ينقل - فيما اطلعت عليه - القول بوجوبها أو عدم مشروعيتها، فالجميع متفق على الاستحباب. والدليل على مشروعية التعزية واستحبابها أحاديث كثيرة، منها:

١ - عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من عزى أخاه المؤمن في مصيبة كساه الله حلة خضراء يحبر بها يوم القيامة"، قيل: يا رسول الله، ما يحبر؟ قال: "يغبط" ^(٦).

(١) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٣).

(٢) حاشية الدسوقي (١/٤١٩).

(٣) المجموع (٥/٣٠٤).

(٤) المغني (٢/٢١١).

(٥) الإفصاح (٢/٢٠٠).

(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٧/٤٠٨)، وهو حديث حسن بمجموع طرقه، كما ذكر ذلك الألباني في أحكام الجنائز (١٦٣).

٢ - عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "من عزی مصاباً فله مثل أجره"^(١). قال المباركفوري: (أي ولو بغير موت: بالمأتي لديه، أو بالكتابة إليه بما يهون المصيبة عليه، ويحملة بالصبر بوعده الأجر، أو بالدعاء له بنحو: أعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر ورزقك الشكر (فله) أي فللمعزي (مثل أجره) أي: نحو أجر المصاب على صبره؛ لأن الدال على الخير كفاعله)^(٢).

٣ - عن أبي بزرّة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من عزی ثكلى كسي برداً في الجنة"^(٣). أي من عزی المرأة التي فقدت ولدها ألبس برداً في الجنة، أي ثوباً عظيماً مكافأة على تعزيتها.^(٤)

- عن عمرو بن حزم - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة"^(٥). أي من الحلل الدالة على الكرامة، أو من حلل أهل الكرامة.^(٦)

-
- (١) أخرجه الترمذي (٣٨٥/٣) في كتاب الجنائز - باب ما جاء في أجر من عزی مصاباً - رقم الحديث (١٠٧٣)، وابن ماجه (٥١١/١) في كتاب الجنائز - باب ما جاء في ثواب من عزی مصاباً - رقم الحديث (١٦٠٢). وضعفه ابن حجر في التلخيص الحبير (١٣٨/٢)، والنووي في المجموع (٣٠٥/٥).
- (٢) تحفة الأحوزي (١٨٥/٤ - ١٨٦).
- (٣) أخرجه الترمذي (٣٧٨/٣) في كتاب الجنائز - باب آخر في فضل التعزية - رقم الحديث (١٠٧٩)، وقال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بالقوي.
- (٤) تحفة الأحوزي (١٩٠/٤).
- (٥) أخرجه ابن ماجه (٥١١/١) في كتاب الجنائز - باب ما جاء في ثواب من عزی مصاباً - رقم الحديث (١٦٠١)، والحديث حسنه النووي في الإنكار (١٩٧)، إلا أن البوصيري قال في مصباح الزجاجة (٢٨٦/١): هذا إسناده فيه مقال، وقد وضعفه الألباني في الإرواء (٢١٦/٣).
- (٦) شرح سنن ابن ماجه للسندي (٤٨٦/١).

المبحث الثالث

الحكمة من التعزية

التعزية كغيرها من العبادات المشروعة لها حكمة، بل حكم كثيرة، قد تظهر لنا، وقد لا تظهر، ولذلك تلمس بعض الفقهاء الحكم التي من أجلها شرعت التعزية، ومنهم: الصاوي المالكي، حيث ينقل عن ابن القاسم بأن التعزية لها حكم ثلاث:

أولها: تهوين المصيبة على المعزى، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر، واحتسابه الأجر، والرضا بالقدر والتسليم لأمر الله تعالى.

ثانيها: الدعاء بأن يعوضه الله تعالى عن مصابه جزيل الثواب.

ثالثها: الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له.^(١)

فهذه ثلاث حكم ذكرها ابن القاسم، ويمكن أن نضيف عليها بعض الحكم:

فمنها: هداية أهل الميت بأمرهم بالمعروف، وتذكيرهم بالله عز وجل، وأن الموت آت لا محالة، وأنه يجب الاستعداد للموت والتأهب له، وأن موت قريبكم إنما هو تذكير من الله تعالى لكم بدنو أجلكم؛ حتى تستعدوا للقاءه عز وجل.

ومنها: نهي أهل الميت عن الوقوع في المحرمات والبدع بعد موت قريبهم، فإن هذا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد ذكر الشيخ علي محفوظ عند ذكره لبدع المآتم: أن من المعلوم أن كل مجتمع للحزن على الميت - فيه النساء - لا يخلو من المحظورات الشرعية، من النذب والنياحة ولطم الخدود والتهتك بكشف العورات، وإضاعة الكثير من الأموال، إلى غير ذلك مما عمت به البلوى، حتى استعصى الداء وعز الدواء. ثم ذكر اجتماع الرجال في المآتم وما فيه من المنكرات - أيضا - وأطال في ذلك.^(٢)

(١) بلغة السالك على الشرح الصغير للدريير للصاوي (١/١٩٩)، وذكر مثله الخرشي في حاشيته على مختصر خليل (٢/١٣٠)، وانظر: مواهب الجليل (٢/٢٢٩).

(٢) الإبداع في مضار الابتداع (٢٢٨).

ونكر ابن الحاج - كذلك - شيئاً من المنكرات التي تكون في المآثم وما يفعله بعض أولياء الميت بعد موت ميتهم من البدع والمنكرات.^(١)

ولذلك، فإن من حكم التعزية: أن يقوم المعزي بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهي أهل الميت بالحكمة والموعظة الحسنة عن البدع والمنكرات التي يفعلونها بعد موت ميتهم، وأنها تضرهم وتكسبهم الإثم.

ولذلك، ذكر النووي بأن التعزية مستحبة (فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي داخلة - أيضاً - في قوله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى"، وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية)^(٢).

(١) المدخل (٣/٢٧٥) ونكر مثله النووي في الإنكار (١٩٤ - ١٩٥)

(٢) الإنكار (١٩٧).

المبحث الرابع لمن تكون التعزية

يستحب أن تكون التعزية لأهل المصيبة جميعهم بلا استثناء، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم، إلا الصبي غير المميز، ولا يعزي الرجل المرأة الشابة إلا إذا كانت من محارمه، خشية الفتنة، وينبغي أن يخص خيارهم وذا الضعف منهم على تحمل المصيبة لحاجته إليها.

وعلى هذا عبارات الفقهاء، أذكر طرفاً منها:

١ - عند فقهاء الحنفية: ما نقله ابن عابدين عن شرح المنية: (وتستحب التعزية للرجال والنساء اللاتي لا يفتن)^(١). وفي الفتاوى الهندية: (يستحب أن يعم بالتعزية جميع أقارب الميت الكبار والصغار الرجال والنساء، إلا أن تكون امرأة شابة فلا يعزيها إلا محارمها)^(٢).

٢ - عند فقهاء المالكية: ومنها: ما ذكره الدردير من استحباب التعزية، وأنها مستحبة للمصاب إلا عند الفتنة، والصبي غير المميز^(٣). وقال القرافي: (ويعزى في الكبير والصغير، ومن يفهم الخطاب، والمتجالة^(٤) بخلاف الشابة)^(٥).

٣ - عند فقهاء الشافعية: منها: ما قاله النووي عن الشافعية: (يستحب أن يعزي جميع أقارب الميت، الكبار والصغار، الرجال والنساء، إلا أن تكون المرأة شابة فلا يعزيها إلا محارمها، قالوا: وتعزية الصلحاء والضعفاء عن احتمال المصيبة، والصبيان أكد)^(٦).

(١) حاشية ابن عابدين (٦٠٣/١).

(٢) الفتاوى الهندية (١٦٧/١)، وانظر: تبیین الحقائق (٢٤٦/١)، فتح القدير (١٤٢/٢).

(٣) حاشية الدسوقي (٤١٩/١)، وانظر: بلغة السالك (١٩٩/١).

(٤) هي العجوز الفانية التي لا أرب للرجال فيها. انظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب

الرباني (٣٦٥/٢)، الفواكه الدواني للنفراوي (٤١٠/٢).

(٥) الذخيرة (٤٨١/٢)، وانظر: مواهب الجليل (٢٣٠/٢).

(٦) المجموع (٣٠٥/٥)، الأذكار (١٩٨).

وقال الماوردي: (ويخص التعزية أقلهم صبراً وأشدّهم جزعاً، ويخص أكثرهم فضلاً وديناً، أما القليل الصبر فليسوا، وأما الكثير الفضل فإنما يرجى من إجابة رده ودعائه)^(١).

٤ - عند فقهاء الحنابلة: منها: ما قاله ابن قدامة: (ويستحب تعزية جميع أهل المصيبة كبارهم وصغارهم، ويخص خيارهم والمنظور إليه، ليستن به غيره، وإذا الضعف منهم عن تحمل المصيبة لحاجته إليه، ولا يعزي الرجل الأجنبي شواب النساء مخافة الفتنة)^(٢).

وقال ابن مفلح: (ويعم بها أهل الميت حتى الصغير، لكن يكره لامرأة شابة أجنبية، ويبدأ بخيارهم)^(٣).

هذه بعض عبارات الفقهاء التي تتفق في مجملها على تعميم التعزية جميع أهل المصيبة بلا استثناء، إلا أنهم استثنوا تعزية الرجل المرأة الشابة، لما فيه من خوف الفتنة ما لم تكن محرماً له.

وقد نص فقهاء الحنابلة على هذا التعميم حتى قالوا: بأن الحق لا يترك لباطل، فيعزى من ارتكب محرماً كشق ثوبه ونحو ذلك، قال المرداوي: (ويعزى من شق ثوبه، نص عليه لزوال المحرم - وهو الشق - ويكره استدامة لبسه)^(٤).

وقال البهوتي: (وحتى من شق ثوبه فيعزى كغيره، ولا يترك حقّ لباطل لزوال المحرم وهو الشق، والباقي أثره)^(٥).

هذا ما يتعلق بتعزية المسلم للمسلم، أما تعزية الكافر وتعزية المسلم بالكافر فقد بين الفقهاء حكم كل منها، ويمكن تفصيل ذلك في المطالبين الآتين:

(١) الحاوي (٦٥/٣)، وانظر: الأم (٢٨٧/١)، ومغني المحتاج (٣٥٤/١ - ٣٥٥).

(٢) المغني (٢١١/٢ - ٢١٢).

(٣) المبدع (٢٨٦/٢)، كشاف القناع (١٥٩/٢ - ١٦٠)، والإنصاف (٥٦٢/٤).

(٤) الإنصاف (٥٦٤/٢).

(٥) كشاف القناع (١٦٠/٢)، وانظر: المبدع (٢٨٦/٢).

المطلب الأول

هل يعزى المسلم بالكافر؟

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى جواز أن يعزى المسلم عن ميت كافر من أهله، فإذا مات كافر قريب لمسلم - كأبيه أو أخيه أو ابنه ونحوهم - فإن المسلم يعزى بموته.

وقد ذكر ابن عابدين من الحنفية جواز ذلك، وأن المسلم يعزى بالكافر ويقال له: أعظم الله أجرك وصبرك^(١).

ونقل النووي عن الشافعية جواز تعزية المسلم بالكافر، وذكر قول الشيرازي: (وإن عزى مسلماً بكافر قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك)^(٢).

وكذلك نص فقهاء الحنابلة على جواز تعزية المسلم بالكافر وأن يقال له: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك.

وذكر ابن قدامة جواز ذلك وأنه إن عزى مسلماً بكافر فإنه يقول: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك^(٣). وكذا ذكر ابن مفلح^(٤).

هذا هو قول جمهور الفقهاء، وهو جواز تعزية المسلم بالكافر؛ لأن المعزى مسلم، والمسلم مطلوب أن يعزى - كما سبق من أدلة التعزية، - إلا أنهم منعوا الدعاء والاستغفار لميته الكافر، لورود النهي عن ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٥)، وهذه الآية نزلت

(١) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٤).

(٢) المجموع (٣٠٦/٥)، وكذا في الأنكار (١٩٩). وانظر: الحاوي (٣/٦٥)، و مغني المحتاج (١/٣٥٥).

(٣) المغني (٢/٢١٢).

(٤) المبدع (٢/٢٨٧). وانظر: الإنصاف (٢/٥٦٥ - ٥٦٦)، وكشاف القناع (٢/١٦١).

(٥) سورة التوبة: آية ١١٣.

كما ذكر ابن كثير في تفسيره^(١) في أبي طالب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما دعاه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في مرض موته إلى قوله: لا إله إلا الله، فمات على ملة عبدالمطلب، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"^(٢)، فنزلت الآية، ونزلت فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٣).

وقد خالف في هذه المسألة الإمام مالك^(٤)، والحنابلة في رواية^(٥) عندهم فقالوا بعدم جواز تعزية المسلم بالكافر.

واستدلوا على عدم الجواز بقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا﴾^(٦).

وجه الاستدلال من الآية: أن الله منعهم من الميراث - وقد أسلموا - حتى يهاجروا، أي أن المسلم إذا كان لا يعزى بالمسلم القريب لترك الهجرة فما الظن بالكافر وهو بعيد، وهو أبعد وأسحق.^(٧)

والراجع في هذه المسألة قول الجمهور لأمر:

١ - عموم الأدلة السابقة القاضية باستحباب تعزية أهل الميت دون تفريق بين مسلم وكافر.

٢ - أن التعزية ليست استغفاراً للميت فقط حتى تمنع لمسلم بكافر، بل هناك حكم أخرى ذكرناها في المبحث الثالث، وكلها مشروعة في تعزية المسلم بميته الكافر.

(١) (٢٢١/٤).

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٢٣٩/٣) في كتاب تفسير القرآن - باب "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين" - رقم الحديث (٤٦٧٥)، ومسلم (٥٤/١) في كتاب الإيمان - باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت - رقم الحديث (٢٤).

(٣) سورة القصص: آية ٥٦.

(٤) حاشية الدسوقي (٤١٩/١)، الذخيرة (٤٨١/٢)، ومنح الجليل (٣٠٠/١).

(٥) الإنصاف (٥٦٦/٢).

(٦) سورة الأنفال: آية ٧٢.

(٧) مواهب الجليل (٢٣١/٢)، الذخيرة (٤٨١/٢).

٣ - أن الإمام مالك يرى جواز أن يعزى جاره الكافر بموت أبيه الكافر ويقول: أخلف الله لك المصيبة، وجزاه أفضل ما جرى به أحداً من أهل دينه، فالمسلم بالتعزية أولى، وهو بذلك أحق وأحرى.

٤ - أن الآية التي استدلت بها الإمام مالك منسوخة، قال عكرمة: أقام الناس برهته لا يرث المهاجري الأعرابي، ولا الأعرابي المهاجري؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا﴾^(١). فنزلت: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢)، فكانت ناسخة^(٣). وهذا القول الذي قاله مالك قد خالفه فيه ابن رشد ورد عليه وعلى استدلاله بما لا مزيد عليه كما نقله عنه الحطاب^(٤).

المطلب الثاني

هل يعزى الكافر؟

إذا مات مسلم أو كافر وله قريب كافر فهل يعزى الكافر بموت قريبه المسلم أو الكافر، اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: جواز تعزية الكافر بميته المسلم أو الكافر. وهو قول بعض الحنفية، وبعض المالكية، ومذهب الشافعية، ورواية للحنابلة^(٥).

واستدلوا لذلك بدليلين:

١ - عموم الأدلة التي تدل على استحباب التعزية، وما فيها من حكم كثيرة من تسلية المصاب وتهوين المصيبة عليه ونحوها من الحكم، وهذا شامل للكافر والمسلم.

(١) سورة الأنفال: آية ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: آية ٧٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٠).

(٤) مواهب الجليل (٢/ ٢٣١ - ٢٣٢).

(٥) الفتاوى الهندية (١/ ١٦٧)، النخيرة (٢/ ٤٨١)، المجموع (٥/ ٣٠٦)، المغني (٢/ ٢١٢).

٢ - ما رواه أنس - رضي الله عنه - قال: كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطمع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار"^(١).

ووجه الدلالة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاد يهودياً وهو كافر، والعيادة بمعنى التعزية، فدل على جواز تعزية الكافر.^(٢)

ويظهر من كلام المجوزين لتعزية الكافر أنهم يعنون الكافر الذمي دون سواه، يبين ذلك الشريبي الخطيب حيث يقول: (ويعزى الكافر المحترم جوازاً إلا إن رجي إسلامه فندباً، أما الكافر غير المحترم - من حربي أو مرتد كما بحثه الأذرعي - فلا يعزى، وهل هو حرام أو مكروه؟... هذا إن لم يرج إسلامه، فإن رجي إسلامه استحب)^(٣). وذكر القرافي جواز تعزية الذمي بالذمي وبالمسلم^(٤). وذكر المرداوي رواية الحنابلة بجواز تعزية الكافر، ثم خصه بالذمي قائلاً: (فيدعو لأهل الذمة بما يرجع إلى طول العمر...) ^(٥).

وكذا ذكر ابن قدامة: أن الإمام أحمد توقف عن تعزية أهل الذمة وهي تخرج على عيادتهم، وذكر أن فيها روايتين الجواز وعدمه.^(٦)

وأشار الجمل في حاشيته إلى ذلك، وذكر أنه يعزى كافر محترم بمسلم، وخرج بذلك الحربي والمرتد فلا يعزيان إلا أن يرجى إسلامهما^(٧)، فدل على أن

(١) أخرجه البخاري (٤١٦/١) في كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه - رقم الحديث (١٣٥٦)

(٢) المغني (٢/٢١٢).

(٣) مغني المحتاج (١/٣٥٥).

(٤) الذخيرة (٢/٤٨١).

(٥) الإنصاف (٢/٥٦٦).

(٦) المغني (٢/٢١٢).

(٧) حاشية الجمل على شرح المنهج (٢/٢١٤)، وكذا في حاشية البجيرمي على المنهج (١/٥٠١).

المقصود بالكافر المحترم: الذمي، فهو محترم، أي له حقوق في الإسلام كعصمة دمه وماله ونحو ذلك. وقد جاء النص صريحاً في أن المراد بالكافر الذمي عند الشافعية في كتاب أسنى المطالب^(١)، وتحفة الحبيب^(٢)، وكذا في روضة الطالبين^(٣).

القول الثاني: عدم جواز تعزية الكافر، وهو قول بعض الحنفية^(٤)، وقول للمالكية^(٥)، ومذهب الحنابلة^(٦).

واستدلوا لقولهم بدليلين:

١ - قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ...﴾ الآية^(٧).

وجه الاستدلال من الآية: أن الله تعالى وصف المؤمنين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر بأنهم لا يوادون الكفار المحادين لله ورسوله، ولو كانوا من الأقربين^(٨)، وتعزية الكافر نوع من الموادة فتكون محرمة^(٩).

٢ - أنه قد وردت النصوص بالنهي عن عيادة الكفار، أو أن نبدأهم بالسلام - كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"^(١٠). وحديث علي - رضي الله عنه - أن

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري (١/٢٣٥).

(٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب للبجيرمي (٢/٢٧١).

(٣) روضة الطالبين للنووي (١/٦٦٤).

(٤) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٤).

(٥) مواهب الجليل (٢/٢٢٩).

(٦) الإنصاف (٢/٥٦٦).

(٧) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٨) تفسير ابن كثير (٨/٥٤).

(٩) مواهب الجليل (٢/٢٣٢).

(١٠) أخرجه مسلم (٤/١٧٠٧) في كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب

بالسلام - رقم الحديث (٢١٦٧).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تصافحوهم، ولا تبدؤوهم بالسلام، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا عليهم " الحديث ^(١). وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تصافحوا اليهود والنصارى " ^(٢).

فهذه الأحاديث تفيد عدم جواز عيادة الكفار، وعدم بدئهم بالسلام، والتعزية بمعنى السلام والعيادة، فلذلك لا تجوز تعزيتهم. ^(٣)

الترجيح:

يظهر لي أن أصح قولي العلماء في هذه المسألة هو: عدم تعزية الذمي إلا عند وجود مصلحة مترتبة على هذه التعزية، كرجاء إسلامه وتأليفه، وذلك لأمرين:

١ - لعموم النصوص الدالة على عدم ولاية الكفار أو توليهم بأي نوع من أنواع الولاية، كابتداء السلام، ومحبتهم، وزيارتهم، ونحوها من الأدلة التي سبقت، والتعزية فيها معنى ما ذكر.

٢ - أن التعزية تجوز لهم في حال التأليف ورجاء الإسلام، وهذا استثناء مشروع في علاقة المسلم بالكافر، حيث إن المسلم مأمور بهداية الناس وتأليف قلوبهم للإسلام، بل إن الإسلام جعل من مصارف الزكاة (المؤلفة قلوبهم)، فتدفع الزكاة للكافر الذي يرجى إسلامه تأليفاً لقلبه.

فلذلك كله يجوز تعزية الذمي من هذا الباب، وعليه يحمل حديث زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - لليهودي كما سبق ذكره، وقد حصل من جرائها إسلام اليهودي، ولذلك نص كثير من الشافعية على جواز تعزية الذمي

(١) أخرجه البيهقي (١٣٦/١٠) وضعفه.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف، كما في مجمع الزوائد للهيتمي (٤٢/٨).

(٣) المغني (٢١٢/٢).

رجاء إسلامه، من ذلك على سبيل المثال: قول الشربيني الخطيب: (ويعزى الكافر المحترم جوازاً، إلا إن رجي إسلامه فندباً)، ثم ذكر حكم تعزية الكافر غير المحترم كالحربي أو المرتد وهو عدم الجواز - تحريماً أو كراهة - ثم قال: (هذا إن لم يرج إسلامه، فإن رجي إسلامه استحبت)^(١).

ومنها: قول الجمل: (وللمسلم تعزية كافر، أي جوازاً لا ندباً ما لم يرج إسلامه وإلا فندباً)^(٢)، ومثله قال البيجرمي^(٣).

✽ مسألة: هل تكرر التعزية؟

يظهر من أقوال الفقهاء اتفاقهم في الجملة على كراهة تكرار التعزية، وأنه يكتفى بها مرة واحدة. جاء في حاشية ابن عابدين: (وتكره التعزية ثانياً)، ونقل قولاً لأبي حنيفة: لا ينبغي لمن عزى مرة أن يعزى مرة أخرى)^(٤).

ومثله في الفتاوى الهندية^(٥). وقال البهوتي: (ويكره تكرارها، أي التعزية فلا يعزى عند القبر من عزى قبل ذلك)^(٦). وقال المرداوي: (يكره تكرار التعزية. نص عليه، فلا يعزى عند القبر من عزى قبل ذلك)^(٧). ومثله قول ابن مفلح^(٨).

هذه هي أقوال الفقهاء في كراهية تكرار التعزية، ودليلهم في ذلك: أن

(١) مغني المحتاج (٢/٣٥٥).

(٢) حاشية الجمل على شرح المنهج (٢/٢١٤).

(٣) حاشية البيجرمي على المنهج (١/٥٠١). وانظر: نهاية المحتاج (٣/١٥).

(٤) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٤).

(٥) الفتاوى الهندية (١/١٦٧)، وفي مراقي الفلاح للشرنبلالي (٣٥١): ولا ينبغي لمن عزى مرة أن يعزى أخرى.

(٦) كشف القناع (٢/١٦٠)، الروض المربع (١٩٤).

(٧) الإنصاف (٢/٥٦٤).

(٨) الفروع لابن مفلح (٢/٢٩٤).

المقصود بالتعزية الأولى قد حصل وتم، فلا حاجة إلى التعزية مرة أخرى؛ لما فيها من استدامة الحزن واستمراره عند أهل الميت.

وقد استدل الشوكاني^(١) للفقهاء بحديث "التعزية مرة"، وهو حديث لفظه غريب، ذكره في البحر الزخار^(٢) عن أنس دون تخريج، ووجدته في كنز العمال^(٣) وقد عزاه إلى الديلمي عن عثمان، ولم أجده فيه، والله أعلم.

(١) نيل الأوطار (١٠٨/٤).

(٢) (١٣٣/٣).

(٣) (٦٦٣/١٢) برقم (٤٢٦٢٨).

المبحث الخامس

صيغة التعزية

التعزية - كما ذكرنا في تعريفها -: هي تسلية المصاب، وحته على الصبر وعدم الجزع والتسخط على قضاء الله وقدره، وعلى هذا فهي مستحبة على أي صفة شرعية تؤدي الغرض المقصود من التعزية.

وعبارات وأقوال الفقهاء تدل على ما ذكرت من عدم تحديد نص معين أو صيغة معينة للتعزية، ولذلك سأذكر بعضاً من أقوال أئمة المذاهب في صيغة التعزية، ثم أتبعها ببعض ما ورد من النصوص في هذا الموضوع.

أولاً: المذهب الحنفي:

قال ابن عابدين: (ويقول: "أعظم الله أجرك" أي جعله عظيماً بزيادة الثواب والدرجات، و"أحسن عزاءك" بالمد، أي جعل سلوكك وصبرك حسناً، و"غفر لميتك"، يقوله إن كان الميت مكلفاً، وإلا فلا)^(١).

وقال الزيلعي: (ويقول له: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك)^(٢).

ثانياً: المذهب المالكي:

قال الدسوقي: (وهي الحمل على الصبر بوعده الأجر، والدعاء للميت والمصاب، كأن يقول: عظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، وليس في ألفاظ التعزية حد معين)^(٣).

وقال القرافي: (وكان عليه السلام إذا عزى يقول: بارك الله لك في الباقي، وأجرك في الفاني)^(٤).

(١) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٤).

(٢) تبين الحقائق (١/٢٤٦). وانظر: الفتاوى الهندية (١/١٦٧).

(٣) حاشية الدسوقي (١/٤١٩).

(٤) النخيرة (٢/٤٨١).

ثالثاً: المذهب الشافعي:

قال الشربيني الخطيب: (ويعزى "المسلم" أي يقال في تعزيته بالمسلم: "أعظم الله أجرك" أي جعل أجرك عظيماً، "وأحسن عزاءك" بالمد، أي جعله حسناً، وزاد على المحرر قوله: "وغفر لميتك"؛ لأنه لائق بالحال. ويسن أن يبدأ قبله بما ورد من تعزية الخضر أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموته: ^(١) (إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب) ^(٢)).

رابعاً: المذهب الحنبلي:

قال ابن قدامة: (ولا نعلم في التعزية شيئاً محدوداً إلا أنه يروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم عزى رجلاً فقال: "رحمك الله وأجرك" رواه الإمام أحمد. وعزى أحمد أبا طالب فوقف على باب المسجد فقال: أعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم. وقال بعض أصحابنا: إذا عزى مسلماً بمسلم قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، ورحم ميتك. واستحب بعض أهل العلم أن يقول ما روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجاءت التعزية - سمعوا قائلاً يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات، فبالله فتقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب) ^(٣).

هذه بعض عبارات الفقهاء في صيغة التعزية وصفتها، وهي تجتمع بكون التعزية مستحبة بأي صيغة شرعية تكون سبباً في تسلية أهل الميت وتصبيرهم، وحملهم على عدم الجزع.

-
- (١) هذا الحديث تكرر عند الفقهاء، وهو حديث ضعيف، أخرجه الشافعي في المسند (١٢٣٥) في الجنائز، والبيهقي في السنن (٦٠/٤)، والحاكم (٥٧/٣ - ٥٨)، وضعف إسناده النووي في المجموع (٣٠٥/٥)، وكذا الشوكاني في نيل الأوطار (١٠٩/٤)، والهيتمي في مجمع الزوائد (٣/٣)، والبيهقي في السنن (٦٠/٤).
- (٢) مغني المحتاج (٣٥٥/١). وانظر: الحاوي (٦٥/٣)، و المجموع (٣٠٥/٥).
- (٣) المغني (٢١٢/٢).

وأذكر الآن بعض الأحاديث والآثار وأقوال العلماء الواردة في صيغة التعزية على سبيل المثال لا الحصر:

١ - حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: أرسلت ابنة النبي - صلى الله عليه وسلم إليه إن ابناً لي قبض فائتتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: "إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلُّ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب" ^(١). وفي رواية: "وكل شيء عنده بأجل مسمى" ^(٢).

قال النووي في بيان أهمية هذا الحديث: (فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتتة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام، وغير ذلك من الأعراض، ومعنى "إن لله تعالى ما أخذ": أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية، ومعنى "وله ما أعطى" أن ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه، بل هو سبحانه يفعل فيه ما يشاء، "وكل شيء عنده بأجل مسمى" فلا تجزعوا، فإن من قبضه قد انقضى أجله المسمى، فمحال تأخره أو تقدمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم والله أعلم) ^(٣).

٢ - حديث أم سلمة - رضي الله عنها - حينما دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - عقب موت أبي سلمة فقال: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب

(١) أخرجه البخاري (٣٩٦/١) في كتاب الجنائز - باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه - رقم الحديث (١٢٨٤). ومسلم (٢/٦٣٦) في كتاب الجنائز - باب البكاء على الميت - رقم الحديث (٩٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٦٣٦/٢) في كتاب الجنائز - باب البكاء على الميت - رقم الحديث (٩٢٣).

(٣) الأنكار للنووي (١٩٩)، ومثله في شرح صحيح مسلم له (٢٢٤/٦ - ٢٢٥)، وكذا في المجموع (٣٠٥/٥).

العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه" ^(١). ومعنى "واخلفه في عقبه في الغابرين" أي كن خلفاً أو خليفة له في عقبه، أي من يعقبه ويتأخر عنه من ولد، في الغابرين: أي الباقين في الأحياء من الناس ^(٢).

٣ - حديث عبدالله بن جعفر حينما عزاه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أبيه فقال: "اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه"، قالها ثلاث مرات ^(٣).

٤ - عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه مات ابن له فكتب إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم يعزيه بآبائه، فكتب إليه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى معاذ بن جبل، سلام عليك، فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، متعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير: الصلاة والرحمة، والهدى، إن احتسبت، فاصبر، ولا يحبط جزعك أجرك فتندم، واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً، ولا يدفع حزناً، وما هو نازل فكان، والسلام" ^(٤).

٥ - حديث جعفر بن محمد بن محمد عن أبيه عن جده قال: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودرهماً من كل فائت، فبالله فتقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب ^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٦٣٤/٢) في كتاب الجنائز - باب إغماض الميت والدعاء له إذا حضر - رقم الحديث - (٩٢٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي (٣٨٧/٨ - ٣٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٤/١)، والحاكم (٢٩٨/٣)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الألباني في أحكام الجنائز (١٦٥).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٥٦/٢٠) والحاكم (٢٧٣/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣): وفيه مجاشع بن عمرو، وهو ضعيف.

(٥) تقدم تخريجه.

٦ - عن أبي خالد الوالبي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عزى رجلاً فقال: "يرحمك الله ويأجرك" ^(١).

٧ - عن عبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير - رضي الله عنهم - أنهما كانا يقولان في التعزية: أعقبك الله عقبي المتقين: صلوات منه ورحمة، وجعلك من المهتدين، وأعقبك الله عقبي كما أعقب عباده الأنبياء الصالحين ^(٢).

٨ - عن عبدالرزاق عن رجل عن طلحة بن عبدالله بن كريب عن أبي عبدالله عن علمائهم قال: من عزى مؤمناً بمصيبة دخلت عليه، كساه الله يوم القيامة رداء يحبر به. قلنا لعبدالرزاق: وكيف يعزي؟ قال: بلغني أن الحسن مر بأهل ميت فوقف عليهم فقال: أعظم الله أجركم، وغفر الله لصاحبكم. ^(٣)

٩ - عن سمرة أنه كان إذا عزى مصاباً قال: اصبر لحكم الله ربك. ^(٤)

١٠ - عن ابن حبيب من المالكية: أنه يستحسن أن يقول في التعزية: أعظم الله أجرك على مصيبتك، وأحسن عزاءك عنها، وعقبك فيها، غفر الله لميتك ورحمه، وجعل ما خرج إليه خيراً مما خرج عنه. ^(٥)

١١ - كان محمد بن سيرين إذا عزى قال: أعظم الله أجرك، وجبر مصيبتك، وأحسن عزاءك عنها، وأعقبك عقباً نافعاً لدنياك وآخرتك. ^(٦)

١٢ - كان مكحول يقول في التعزية: أعظم الله أجرك، وأحسن عقبك، وغفر لمتوفاك. ^(٧)

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦١/٣)، وحسنه الحافظ بن حجر في الفتوحات الربانية (١٤٣/٤).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٣٩٦/٣) في كتاب الجنائز - باب التعزية.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦١/٣).

(٥) مواهب الجليل (٢٢٩/٢).

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

١٣- نقل الخطاب عن بعضهم أن أحسن التعزية ما جاء في الحديث: أجركم الله على مصيبتكم، وأعقبكم خيراً منها، إنا لله وإنا إليه راجعون.^(١)

١٤- نقل ابن قدامة تعزية الإمام أحمد: أعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم.^(٢)

١٥- ونقل - أيضاً - عن بعض الحنابلة: أعظم الله أجرک، وأحسن عزاءك، ورحم ميتك.^(٣)

١٦- ذكر في الفتاوى الهندية: أن التعزية تكون بأن يقال لصاحب التعزية: غفر الله تعالى لميتك، وتجاوز عنه، وتغمده برحمته، ورزقك الصبر على مصيبتك، وأجرک على موته.^(٤)

هذه بعض النصوص والآثار الواردة في صيغة التعزية، وأحسنها الصيغة الأولى الثابتة في الصحيحين، لكن الأمر فيها واسع كما ذكر الخطاب^(٥)، وابن قدامة^(٦)، فتجوز التعزية بأي صيغة خالية من المحذور الشرعي، وتؤدي المقصود منها، وهو تسلية أهل الميت وحثهم على الصبر وعدم الجزع.

هذا ما يتعلق بتعزية المسلم بالمسلم، أما تعزية المسلم بالكافر، والكافر بالكافر فقد ذكر الفقهاء صيغاً فيها الدعاء للمسلم دون الميت الكافر، لأن الدعاء والاستغفار للكافر منهي عنه كما سبق، وأذكر طرفاً من أقوال الفقهاء في ذلك:

١ - في الفتاوى الهندية: (ويقال في تعزية المسلم بالكافر: أعظم الله أجرک وأحسن عزاءك، وفي تعزية الكافر بالمسلم، أحسن الله عزاءك وغفر لميتك، ولا يقال: أعظم الله أجرک، وفي تعزية الكافر بالكافر: أخلف الله عليك ولا نقص عددك).^(٧)

(١) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٠).

(٢) المغني (٢/ ٢١٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفتاوى الهندية (١/ ١٦٧)، تبين الحقائق (١/ ٢٤٦).

(٥) مواهب الجليل (٢/ ٢٣٠).

(٦) المغني (٢/ ٢١٢).

(٧) الفتاوى الهندية (١/ ١٦٧).

٢ - نقل الحطاب قول سحنون: (يعزى الذمي في وليه بقوله: أخلف الله لك المصيبة، وجزاك أفضل ما جزى به أحداً من أهل دينك)^(١).

٣ - قال الشيرازي: (وإن عزى مسلماً بكافر قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وإن عزى كافراً بمسلم قال: أحسن الله عزاءك وغفر لميتك، وإن عزى كافر بكافر قال: أخلف الله عليك، ولا نقص عددك)^(٢). والدعاء بعدم نقص العدد للكافر من أجل الجزية المأخوذة منهم. وهذا اعتبره النووي مشكلاً؛ لأنه دعاء ببقاء الكافر، ودوام كفره، ولذلك اختار تركه.^(٣)

٤ - قال ابن قدامة: (وإن عزى مسلماً بكافر قال: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك.. وفي تعزية الكافر بالمسلم: أحسن الله عزاءك وغفر لميتك، وعن كافر: أخلف الله عليك، ولا نقص عددك).^(٤)

هذه بعض أقوال الفقهاء في صيغة تعزية المسلم بالكافر، والكافر بالمسلم، والكافر بالكافر، ويلاحظ أن فيها الدعاء للمسلم بالمغفرة والرحمة دون أن يكون ذلك للكافر، بل يدعى له بحسن العزاء، وأن يخلف الله عليه ونحو ذلك، بما يرجع إلى طول العمر، وكثرة الولد والمال، فلا يدعو للكافر الحي بالأجر، ولا لكافر ميت بالمغفرة.^(٥)

هذا كله على القول بجواز تعزية الكافر كما هو قول بعض الشافعية والحنابلة، أما على القول بعدم جواز تعزية الكافر مطلقاً فلا تستحب تلك الصيغ ولا غيرها.

أما رد المعزى، فلم يرد فيه شيء أيضاً، ولكن يستحب له أن يرد بالدعاء للمعزي، كما ذكر ابن قدامة، وهو أن يقول: استجاب الله دعاءك، ورحمنا وإياك.^(٦)

(١) مواهب الجليل (٢/٢٣١).

(٢) المجموع (٥/٣٠٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المغني (٢/٢١٢).

(٥) الإنصاف (٢/٥٦٦).

(٦) المغني (٢/٢١٢)، كشف القناع (٢/١٦١).

المبحث السادس

وقت التعزية

يكاد يتفق الفقهاء على أن التعزية تجوز في كل وقت، أي قبل دفن الميت أو بعده، لأن الأدلة جاءت بالتعزية دون تفريق ودون تحديد لوقتها، هل هو قبل الدفن أو بعده؟ ولأن المقصود والغاية من التعزية - كما مر - تسلية أهل الميت وقضاء حقوقهم، والتقرب إليهم، وهذه الحاجة ظاهرة قبل الدفن وبعده.

إلا أنهم استحبوا التعزية بعد الدفن - والعلة في ذلك كما يقول النووي -: لأن أهله قبل الدفن مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر، فكان ذلك الوقت أولى بالتعزية، وهذا - أيضا - ليس على إطلاقه، فإذا ظهر فيهم الجزع ونحوه فإن الأفضل التعجيل بالتعزية ولو قبل الدفن؛ ليذهب جزعهم أو يخف.^(١)

وهذه العلة ذكرها ابن عابدين بقوله: (وأولها أفضلها، وهي بعد الدفن أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون قبل الدفن بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد الدفن لفراقه أكثر، هذا إذا لم ير منهم جزع شديد، وإلا قدمت لتسكينهم)^(٢).

وهذا القول وهو جواز التعزية قبل الدفن وبعده - مع أفضلية التعزية بعده إلا عند خوف الجزع - هو قول جمهور الفقهاء، حيث نص عليه الحنفية، ففي الفتاوى الهندية: (وهي بعد الدفن أولى منها قبله، وهذا إذا لم ير منهم جزع شديد، فإن رُوي ذلك قدمت التعزية)^(٣).

ونص عليه فقهاء المالكية، قال الخرشي: (وواسع كونها قبل الدفن وبعده، عند رجوع الولي إلى بيته)^(٤).

وكذا فقهاء الشافعية، قال الشربيني الخطيب: (وتسن قبل الدفن، لأنه وقت

(١) المجموع (٣٠٦/٥).

(٢) حاشية ابن عابدين (٦٠٤/١)، وانظر: المغني (٢١١/٢).

(٣) الفتاوى الهندية (١٦٧/١).

(٤) شرح الخرشي على مختصر خليل (١٣٠/٢)، وانظر: حاشية الدسوقي (٤١٩/١)،
و الذخيرة (٤٨١/٢).

شدة الجزع والحزن، ولكن بعده أولى، لاشتغالهم قبله بتجهيزهم، إلا أن أفرط حزنهم فتقديمها أولى؛ ليصبرهم^(١).

وهو نص فقهاء الحنابلة أيضاً، قال المرداوي: (ويستحب تعزية أهل الميت، يعني سواء أكان قبل الدفن أم بعده، وهذا المذهب، وعليه أكثر الأصحاب، وقال القاضي في الإنصاف: التعزية بعد الدفن أولى، للإيلاس التام منه)^(٢).

من هذه العبارات يتضح أن مذهب جمهور الفقهاء هو جواز التعزية بعد الدفن وقبله، إلا أنه نقل عن الثوري القول بكراهة التعزية بعد الدفن، وعلل ذلك بأنه خاتمة أمره، والتعزية تسلية فينبغي أن تكون وقت الصدمة التي يشرع الصبر عندها، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"^(٣).

وهذا القول عن الثوري نقله جمع من العلماء، منهم: الحطاب^(٤)، والشاشي القفال^(٥)، والنووي^(٦)، وابن قدامة^(٧).

وممن نقل خلاف الثوري واستدل له: الشوكاني، حيث ذكر أن التعزية بعد الدفن أفضل، لعظم المصائب بالمفارقة، ثم ذكر أن أبا حنيفة والثوري خالفاً وقالوا: إنما هي قبله، واستدل للقولين بدليلين:

-
- (١) مغني المحتاج (١/٣٥٥). وانظر: الحاوي (٣/٦٥).
 - (٢) الإنصاف (٢/٥٦٣). وانظر: الروض المربع شرح زاد المستقنع (١٩٣).
 - (٣) هو حديث أنس - رضي الله عنه - قال: مر النبي - صلى الله عليه وسلم - بامرأة تبكي عند قبر، فقال: "اتقي الله واصبري" قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتني، ولم تعرفه. ف قيل لها: إنه النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنت باب النبي - صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك. فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى". أخرجه البخاري (١/٣٩٥) في كتاب الجنائز - باب زيارة القبور - رقم الحديث (١٢٨٣). ومسلم (٢/٦٣٧) في كتاب الجنائز - باب الصبر عند الصدمة الأولى - رقم الحديث (٦٢٦).
 - (٤) مواهب الجليل (٢/٢٣٠).
 - (٥) حلية الفقهاء (٢/٣٦٥).
 - (٦) المجموع (٥/٣٠٧).
 - (٧) المغني (٢/٢١١).

الأول: حديث جابر بن عتيك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء يعود عبدالله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجبه، فاسترجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: "غلبنا عليك يا أبا الربيع" فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "دعهن، فإذا وجب فلا تبكين باكية"^(١). قال الشوكاني: (والمراد بالوجوب دخوله القبر كما وقع في رواية لأحمد)^(٢). يشير إلى الرواية التي رواها أحمد في مسنده^(٣)، وفيه: فقال جابر: فحدثت به عمر بن حميد القرشي فقال لي: ما وجبت؟ قال: إذا أدخل قبره.

فيكون في الحديث إشارة إلى النهي عن التعزية بعد الوجوب، وهو الدفن ودخول الميت القبر.

الثاني: استدل له بأن وقت الموت حال الصدمة الأولى، والتعزية تسلية فينبغي أن تكون وقت الصدمة التي يشرع الصبر عندها.^(٤)

الترجيح:

الذي يظهر في هذه المسألة: أن الراجح هو قول الجمهور الذين يقولون بأن التعزية تكون قبل الدفن وبعده، إلا أن الأولى أن تكون بعد الدفن لما سبق ذكره بأن أهل الميت مشغولون قبل الدفن بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر، إلا أن يظهر فيهم جزع ونحوه فتعجل التعزية كما ذكرنا سابقا.

-
- (١) أخرجه أبو داود (٤٨٢/٣) في كتاب الجنائز - باب في فضل من مات بالطاعون - رقم الحديث (٣١١١). والنسائي (١٣/٤) في كتاب الجنائز - باب النهي عن البكاء على الميت - رقم الحديث (١٨٤٦)، والحديث أصله في صحيح مسلم (١٥٢١/٣) في كتاب الإمارة - باب بيان الشهداء - رقم الحديث (١٩١٤).
- (٢) نيل الأوطار (١٠٨/٤).
- (٣) مسند الإمام أحمد (٤٤٦/٥).
- (٤) نيل الأوطار (١٠٨/٤).

أما استدلال الثوري بالحديث: فيجاب عنه بأن يقال: الروايات التي وردت في الحديث عند أبي داود والنسائي وغيرها لم تفسر الوجوب بدخول القبر، بل تتمم الرواية التي ذكرناها من حديث جابر بن عتيك: قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: "الموت"، ففسر النبي - صلى الله عليه وسلم نفسه الوجوب بالموت لا بدخول القبر - كما هي رواية أحمد من تفسير أحد الرواة -، فالمتيقن هو أخذ تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - الصريح، وعدم الأخذ بتفسير رواية الرواة، فلا وجه لاستدلال الثوري بهذا الحديث، ولذا قال الشوكاني: (والتفسير المرفوع أصح وأرجح)^(١).

أما تعليقه بأن وقت الموت حال الصدمة الأولى فينبغي أن تكون التعزية عندها فهذا لا يختلف فيه الجمهور، حيث بينوا بأنه إذا كان هناك جزع من أهل الميت فينبغي أن تعجل التعزية، ولكنهم قالوا: بأن التعزية بعد الدفن أولى، لما ذكرنا قبل من انشغال أهل الميت بتجهيز ميتهم، وأنهم محتاجون للتسلية بعد الدفن وتخفيف محنتهم ومصابهم.

※ ملحوظة:

يلاحظ أن النووي وكذا الشوكاني^(٢) ذكرا أبا حنيفة مع الثوري في رأيه وهذا - بحسب اطلاعي - لم أجده في كتب الحنفية كما ذكرت في عباراتهم، فلعل المراد أنهم يرون جواز التعزية قبل الدفن، أو يحمل على أن التعزية قبل الدفن في حال جزع أهل الميت، والله أعلم.

(١) نيل الأوطار (١١٦/٤).

(٢) وكذا ابن مفلح، حيث أشار إلى أن مذهب أبي حنيفة عدم استحباب التعزية بعد الدفن لأنه خاتمة أمره. انظر: النكت والفوائد السننية على مشكل المحرر، لمجد الدين ابن تيمية (٢٠٧/١). وذكر ذلك - أيضا - عن أبي حنيفة: الوزير ابن هبيرة، كما في الإقصاص (٢٠١/٢).

المبحث السابع

مدة التعزية

اختلف الفقهاء في مدة التعزية، هل تحدد بأيام معدودة كثلاثة أيام؟ أم أن مدتها غير محدودة فتجوز التعزية بعد الثلاث إن وجدت الفائدة فيها؟ والمسألة على قولين:

القول الأول: يرى جمهور الفقهاء أن مدة التعزية ثلاثة أيام فقط، وتكره بعد الثلاثة، إلا أن يكون المعزى أو المعزي غائباً فلم يحضر إلا بعد الثلاثة فإنه يعزيه بعدها.

وقد نص على ذلك فقهاء الحنفية، ففي الفتاوى الهندية: (ووقتها حين يموت إلى ثلاثة أيام، ويكره بعدها إلا أن يكون المعزي أو المعزى إليه غائباً فلا بأس بها)^(١).

وكذا فقهاء المالكية حيث يقول الدردير: (وأمدتها ثلاثة أيام، ولا تعزية بعدها إلا أن يكون غائباً)^(٢).

ووافقهم فقهاء الشافعية، قال الشربيني الخطيب: (وغايتها ثلاثة أيام تقريباً من الموت لحاضر، ومن القدوم لغائب، ومثل القدوم لغائب: المريض المحبوس، فتكره التعزية بعدها)^(٣).

وكذا فقهاء الحنابلة، حيث يقول السامري: (والتعزية مستحبة بعد الموت قبل الدفن وبعده إلى ثلاثة)^(٤).

هذا هو قول جمهور الفقهاء، حيث جعلوا التعزية ثلاثة أيام على التقريب

(١) (١٦٧/١). وانظر: حاشية ابن عابدين (٦٠٣/١ - ٦٠٤).

(٢) حاشية الدسوقي (٤١٩/١). وانظر: حاشية العدوي على شرح الخرشي على مختصر خليل (١٢٩/١)، و الفواكه الدواني (٣٢٢/١).

(٣) مغني المحتاج (٣٥٥/١). وانظر: الحاوي (٦٥/٢)، والأذكار (١٩٧ - ١٩٨).

(٤) المستوعب (١٦٨/٣). وانظر: المبدع (٢٨٦/٢)، والإنصاف (٥٦٤/٢).

مع كراهة التعزية بعدها، إلا إذا وجدت حاجة كغياب المعزي أو المعزى أو نحو ذلك من الأعذار، أما دليلهم على ما قالوا: فقد استدلوا لذلك بدليين:

الأول: حديث أم حبيبة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً"^(١). وفي حديث أم عطية: نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزواج^(٢).

ووجه الدلالة من الحديث بينه البهوتي بقوله في تعليل التحديد بالثلاث: (لإذن الشارع في الإحداد فيها، أي في الثلاث بقوله: " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام، إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً" تعليل للتحديد بالثلاث)^(٣).

وذكر ابن مفلح - بعد أن نقل عن أصحاب الشافعي أن وقت التعزية يمتد إلى ثلاثة أيام - فلا تعزية بعدها، قال: (لأنها في حد القلة، وقد أذن الشارع في الإحداد فيها) يشير إلى ما سبق من الأدلة، وهذا يدل على أن ما يهجره المصاب من حسن الثياب والزينة لا بأس به مدة الثلاث^(٤). ونص أبو زكريا الأنصاري من الشافعية على أن النبي - صلى الله عليه وسلم جعل الثلاثة أيام نهاية الحزن بالحديث السابق، ثم قال: (ومن هنا كان ابتداء الثلاثة من الموت)^(٥).

الثاني: أن المقصود بالتعزية والحكمة منها: تسكين قلب المصاب من أهل

(١) أخرجه البخاري (٤٢١/٣) في كتاب الطلاق - باب الكحل للحادة - رقم الحديث (٥٣٢٨)، ومسلم (١١٢٤/٢) في الطلاق - باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة - رقم الحديث (١٤٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١/٣) في كتاب الطلاق - باب الكحل للحادة - رقم الحديث (١٤٨٨).

(٣) كشف القناع (١٦٠/٢).

(٤) النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر (٢٠٧/١ - ٢٠٨).

(٥) أسنى المطالب (٣٣٤/١).

الميت، وتسليته، والغالب أن قلب المصاب منهم يسكن ويهدأ بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن بالتعزية.

وهذا التعليل أشار إليه ابن عابدين بقوله: (ثلاثة أيام، وأولها أفضلها، وتكره بعده، لأنها تجدد الحزن)^(١).

ونكره النووي - أيضاً - حيث يقول: (وتكره التعزية بعد الثلاثة؛ لأن المقصود منها تسكين قلب المصاب، والغالب سكونه بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن)^(٢).

ونقل المرداوي عن بعض الحنابلة هذا التعليل بقوله: (يكراه بعد ثلاثة أيام لتهيج الحزن)^(٣).

القول الثاني: لا تحدد التعزية بثلاثة أيام، فليس لها وقت محدد، بل تبقى بعد الثلاثة وإن طال الزمان ما دامت الفائدة موجودة. وهو قول بعض الشافعية وبعض الحنابلة.

وقد نص على ذلك النووي في المجموع بعد أن ذكر أن المذهب تحديد وقت التعزية بالثلاثة تقريباً، ثم حكى وجهاً لإمام الحرمين أنه لا أمد للتعزية، بل يبقى بعد ثلاثة أيام وإن طال الزمان^(٤).

وكذا ذكر المرداوي من الحنابلة أن الظاهر أن التعزية ليست محددة بحد، وأنه قول جماعة من الأصحاب^(٥).

واستدل أصحاب هذا القول لقولهم بثلاثة أدلة:

الأول: عموم الأدلة التي تدل على استحباب التعزية، التي ذكرناها في المبحث الثاني. فظاهر هذه الأدلة يفيد استحباب التعزية مطلقاً دون تحديد لمدة

(١) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٤).

(٢) المجموع (٥/٣٠٦)، وكذا في الأذكار (١٩٨). وانظر: مغني المحتاج (٢/٣٥٥).

(٣) الإنصاف (٢/٥٦٤). وانظر: المبدع (٢/٢٨٦).

(٤) المجموع (٥/٣٠٦).

(٥) الإنصاف (٢/٥٦٤). وانظر: المبدع (٢/٢٨٦).

معينة كيوم أو ثلاثة أيام ونحوها، مما يدل على عدم تحديد وقت للتعزية. وإليه يشير المرداوي حيث يقول: (يستحب مطلقاً، وهو ظاهر الخبر)^(١).

الثاني: أنه قد وردت بعض الأحاديث التي تبين جواز التعزية بعد ثلاثة أيام، منها: حديث عبدالله بن جعفر حيث عزي النبي - صلى الله عليه وسلم - آل جعفر ثلاثة أيام حينما قتل جعفر شهيداً في غزوة مؤتة. والحديث طويل والشاهد منه قول الراوي: ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيتهم، ثم أتاهم فقال: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم..." ثم دعا لهم^(٢).

ووجه الاستدلال فيه ظاهر، إذ عزاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في ميتهم بعد ثلاثة أيام من موته، مما يدل على مشروعية التعزية بعد الثلاث.

الثالث: أن الغرض من التعزية الدعاء، وتسليّة أهل المصاب، والحمل على الصبر، والنهي عن الجزع، وذلك كله يحصل مع طول الزمان إن دعت الحاجة إليه، ولا يختص بثلاثة أيام فقط.

قال النووي عند ذكر وجه للشافعية في المسألة: (وحكى إمام الحرمين وجهاً أنه لا أمد للتعزية، بل يبقى بعد ثلاثة أيام وإن طال الزمان، لأن الغرض الدعاء والحمل على الصبر والنهي عن الجزع، وذلك يحصل مع طول الزمان)^(٣).

وقال ابن مفلح: (وإطلاق كلامهم - أي الحنابلة - يقتضي الاستحباب بعد الثلاث، وهو ظاهر الأخبار، لأن القصد تسليّة أهل المصيبة والدعاء لهم ولميتهم، وهذا المعنى تستوي فيه الثلاث وغيرها، والتعليل بتجديد المصيبة مناسبة مرسلة، ليس لها أصل، فلا تقبل)^(٤).

(١) الإنصاف (٢/٥٦٤)، وانظر: المبدع (٢/٢٨٦)، والنكت والفوائد السنية (١/٢٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٠٤)، والحاكم (٣/٢٩٨)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٦٦).

(٣) المجموع (٥/٣٠٦)، والآنكار (١٩٨).

(٤) النكت والفوائد السنية (١/٢٠٨).

الترجيح:

يظهر لي في هذه المسألة أن الراجح هو القول الثاني، وأن التعزية لا تحدد بثلاثة أيام، لثبوت الأخبار بذلك، كما في حديث تعزية النبي - صلى الله عليه وسلم - آل جعفر بعد ثلاث، ولعموم الأحاديث الدالة على استحباب التعزية دون تحديد أمد لها.

ولأن الجميع متفق على أن المقصود بالتعزية والحكمة منها: هو تسكين قلب المصاب من أهل الميت وتسليته وحمله على الصبر، ونهيه عن الجزع، فمتى ما وجدت هذه العلة استحبت التعزية طالبت المدة أو قصرت. والله أعلم.

المبحث الثامن

مكان التعزية

اختلف الفقهاء في الجلوس للتعزية في مكان معين، هل ذلك جائز أو لا؟ أي هل يجوز أن يجتمع الناس في البيت مثلاً للجلوس واستقبال المعزين؟ والفقهاء اختلفوا في هذه المسألة لأمرين:

الأول: أنه لم يرد نص صريح من النبي - صلى الله عليه وسلم - يمنع الجلوس للتعزية في مكان معين.

الثاني: تعارض ظواهر بعض النصوص والآثار، فبعض الأحاديث يظهر منها جواز الجلوس للتعزية، وبعض الآثار يظهر منها المنع من ذلك. فلذلك اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: كراهة الجلوس للتعزية واستقبال المعزين. وهو قول جمهور الفقهاء.

نقل ابن عابدين عن بعض الحنفية أنه (يكره الاجتماع عند صاحب البيت، ويكره له الجلوس في بيته حتى يأتي إليه من يعزي، بل إذا فرغ ورجع الناس من الدفن فليتفرقوا ويشغل الناس بأمورهم وصاحب البيت بأمره)^(١).
ونص فقهاء الشافعية على كراهة الاجتماع للتعزية.

قال النووي: (وأما الجلوس للتعزية فنص الشافعي والمصنف وسائر الأصحاب على كراهته... قالوا: يعني بالجلوس لها أن يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدهم من أراد التعزية، قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها)^(٢).

(١) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٤). وانظر: فتح القدير (٢/١٤٢)، والفتاوى الهندية (١/١٦٧).

(٢) المجموع (٥/٣٠٦)، والأذكار (١٩٨). وانظر: مغني المحتاج (١/٣٥٥)، وأسنى المطالب (١/٣٣٤)، وحاشية البجيرمي على الخطيب (٢/٢٧١).

وكذا نص فقهاء الحنابلة على كراهة الجلوس للتعزية، قال المرداوي: (ويكره الجلوس لها، هذا المذهب، وعليه أكثر الأصحاب، ونص عليه، قال في الفروع: اختاره الأكثر)^(١).

هذا هو قول الجمهور وهو كراهة الجلوس للتعزية، وقد استدلوا لقولهم بدليلين:

١ - حديث جرير بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه - قال: كنا نعد (وفي رواية: نرى) الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة)^(٢).

ذكر السندي في شرحه لابن ماجه: أن قول جرير - رضي الله عنه - (كنا): (بمنزلة إجماع الصحابة - رضي الله عنهم - أو تقرير النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى الثاني: فحكمه الرفع على التقديرين فهو حجة)^(٣).

وهذا الدليل يدل على عدم مشروعية الاجتماع للتعزية وأنه لم يرد في فعل الصحابة - رضي الله عنهم - ولا تقرير النبي - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قال ابن القيم: (وكان من هديه صلى الله عليه وسلم: تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه: أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن، لا عند قبره ولا غيره، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة)^(٤).

٢ - أن الجلوس واستقبال الناس للتعزية فيه تجديد للحزن واستدامته، وهذا ينافي المقصود من التعزية، وهو التخفيف على أهل الميت وتهوين المصيبة والحزن عليه، فالمشروع: أن ينصرف الناس إلى شغلهم ومصالحهم بعد دفن الميت.

(١) (١٥٥) الإنصاف (٢/٥٦٥). وانظر: المبدع (٢/٢٨٦)، وكشاف القناع (٢/١٦٠)، والإفصاح (٢/٢٠١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٠٤) وابن ماجه (١/٥١٤) في كتاب الجنائز - باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت - رقم الحديث (١٦١٢)، وصححه النووي في المجموع (٥/٢٢٠) والبوصيري في مصباح الزجاجة (١/٢٨٩).

(٣) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١/٤٩٠).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٥٢٧).

وقد ذكر هذا الأمر ابن عابدين - كما سبق - وأن الناس بعد الدفن ينبغي أن يتفرقوا ويشغلوا بأمورهم، ويشغل صاحب البيت بأمره.^(١)

ونص على ذلك النووي أنه: (ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم فمن صادفهم عزاهم)^(٢).

ونكر المرداوي عن بعض الحنابلة فقال: (يكره الاجتماع بعد خروج الروح، لأن فيه تهيجاً للحنن)^(٣).

القول الثاني: يجوز الجلوس للتعزية واستقبال المعزين. وهو قول بعض الحنفية والمالكية، ورواية للحنابلة.

جاء في الفتاوى الهندية: (ولا بأس لأهل المصيبة أن يجلسوا في البيت أو في مسجد ثلاثة أيام والناس يأتونهم ويعزونهم)^(٤).

ونقل جمع من المالكية جواز الجلوس للتعزية، قال الصاوي: (ويجوز أن يجلس الرجل للتعزية)^(٥).

ونقل المرداوي من الحنابلة رواية - عندهم - بجواز الجلوس للتعزية، حيث إنه لما ذكر المذهب وهو كراهة الجلوس للتعزية قال: (وعنه الرخصة فيه، لأنه عزى وجلس، وقال الخلال: سهل الإمام أحمد في الجلوس إليهم في غير موضع)^(٦).

واستدل أصحاب هذا القول بدليلين:

-
- (١) حاشية ابن عابدين (٦٠٤/١).
 - (٢) المجموع (٣٠٦/٢)، والأذكار (١٩٨). وانظر: أسنى المطالب (٣٣٤/١)، ومغني المحتاج (٣٥٥/٢).
 - (٣) الإنصاف (٥٦٥/٢). وانظر: المبدع (٢٨٦/٢)، وكشاف القناع (١٦٠/٢).
 - (٤) الفتاوى الهندية (١٦٧/١). وانظر: حاشية ابن عابدين (٦٠٤/١).
 - (٥) بلغة السالك (١٩٩/١). وانظر: حاشية الخرشى على خليل (١٣٠/١)، ومواهب الجليل (٢٣٠/٢). وانظر: الفواكه الدواني (٣٣٢/١)، والذخيرة (٤٨١/٢).
 - (٦) الإنصاف (٥٦٥/٢)، والمبدع (٢٨٦/٢). وانظر: النكت والفوائد السنية (٢٠٨/١).

١ - حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (وفي رواية: في المسجد) ^(١) يُعرف فيه الحزن... ^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد أيضا: جواز الجلوس للعزاء بسكينة ووقار) ^(٣).

وقد صرح بالاستدلال بهذا الحديث الخرشي حيث يقول: (ويجوز أن يجلس للتعزية كما فعل عليه الصلاة والسلام حين جاءه خبر جعفر وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ومن قتل معهم بمؤتة) ^(٤).

وقد رد الجمهور على هذا الاستدلال بأن جلوسه صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصودا للتعزية. قال ابن عابدين في رده: (يجاب عنه بأن جلوسه صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصودا للتعزية) ^(٥).

وقال الشربيني الخطيب: (وأما ما ثبت عن عائشة - رضي الله عنها - عن أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس في المسجد يعرف في وجهه الحزن، فلا نسلم أن جلوسه كان لأجل أن يأتيه الناس ليعزوه) ^(٦).

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠/٣) في كتاب الجنائز - باب الجلوس عند المصيبة - رقم الحديث (٣١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠/١) في كتاب الجنائز - باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن - رقم الحديث (١٢٩٩)، ومسلم (٦٤٥/٢) في كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة - رقم الحديث (٩٣٥).

(٣) فتح الباري (١٦٨/٣).

(٤) حاشية الخرشي على خليل (١٣٠/١). وانظر: النخيرة (٤٨١/٢)، وبلغة السالك (١٩٩/١)، وحاشية الدسوقي (٤١٩/١).

(٥) حاشية ابن عابدين (٦٠٤/١).

(٦) مغني المحتاج (٣٥٥/١). وانظر: أسنى المطالب (٣٢٤/١).

٢ - حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قبرنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يعني ميتاً) فلما فرغنا انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانصرفنا معه، فلما حاذى بابه وقف فإذا نحن بامرأة مقبلة، قال: أظنه أعرفها، فلما ذهبت إذ هي فاطمة - رضي الله عنها - فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ " فقالت: أتيت يا رسول الله، أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم، أو عزيتهم به، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " فلعلك بلغت معهم الكُدَى "، قالت: معاذ الله! وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر، قال: " أو بلغت معهم الكُدَى " فذكر تشديداً في ذلك، فسألت ربعة عن الكُدَى، فقال: القبور فيما أحسب. (١)

ووجه الاستدلال من الحديث: هو أن فاطمة ذهبت تعزي أهل الميت في بيتهم وهم مجتمعون، فدل على جواز الجلوس للتعزية في البيت.

هذان هما القولان في المسألة، وقبل الترجيح أذكر أمراً مهماً وهو أن الجميع متفق على أن الجلوس للتعزية إن صاحبه شيء من المنكرات فإنه لا يجوز، وصرح بعضهم بأنه بدعة ومحدث، وعلى هذا عبارات الفقهاء:

قال الزيلعي: (ولا بأس بالجلوس لها - أي التعزية - إلى ثلاثة أيام من غير ارتكاب محظور، من فرش البسط والأطعمة من أهل الميت) (٢).

وقال الدسوقي: (وتهيئة طعام لأهله، أي لكونهم حل بهم ما يشغلهم، ما لم يجتمعوا لنياحة، أي بكاء برفع صوت، وإلا حرم إرسال الطعام لهم، لأنهم عصاة) (٣).

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠/٣) في كتاب الجنائز - باب في التعزية - رقم الحديث (٢١٢٢). والنسائي (٢٧/٤) في كتاب الجنائز - باب النعي - رقم الحديث (١٨٨٠). والحديث ضعفه النسائي وابن الجوزي، والألباني، كما في ضعيف سنن أبي داود (٤٧٦/١٠).

(٢) تبين الحقائق (٢٤٦/١).

(٣) حاشية الدسوقي (٤١٩/١)، والذخيرة (٤٨١/٢)، وحاشية الخرخشي على خليل (١/١٢٩)، وبلغة السالك (١٩٩/١).

وقال النووي: (يكره الجلوس للتعزية... وهذه كراهة تنزيه إذا لم يكن معها محدث آخر، فإذا ضم إليها أمر آخر من البدع المحرمة، كما هو الغالب منها في العادة، كان ذلك حراماً من قبائح المحرمات، فإنه محدث)^(١).

من هذا يتبين أن الجميع متفق على حرمة الاجتماع إذا كان في هذا الاجتماع أمور منكرة محرمة، لا خلاف بينهم في ذلك، وإنما الخلاف في أصل الجلوس للتعزية هل هو جائز أو لا؟

الترجيح:

الذي أراه في هذه المسألة هو جواز الجلوس للتعزية، واستقبال المعزين دون وجود منكر أو بدعة. فيجلس أهل الميت ويستقبلون الناس في البيت لمدة ثلاثة أيام أو أكثر أو أقل بحسب الحاجة إلى التسلية والحمل على الصبر، مع الحذر من البدع والمحرمات التي ابتدعها بعض الناس كالاجتماع في بيت الميت للأكل والشرب، وقراءة القرآن، أو عمل ختمة، أو إقامة المآتم، والتجمعات التي تأخذ مظاهر احتفالية، وإضاءة الأنوار والشموع، وصف الكراسي في الطرقات والدور، وإغلاق الشوارع ووضع الفرش ثلاث ليال متواصلة، مما يعد تعدياً على حقوق المسلمين، وفتح الأبواب على مصراعيها، وإعداد القهوة والشاي، ووضع الطعام، وربما استئجار قصور الأفراح، مما يترتب عليه ترك الأعمال، وتعطيل الأشغال والمصالح، ولذلك عد العلماء - قديماً وحديثاً - هذا الفعل وهذه المظاهر من النياحة المحرمة، واستدلوا لذلك بحديث جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة.^(٢)

وجاء صريحاً إنكار كبار الصحابة لذلك، فقد وفد جرير بن عبدالله على عمر - رضي الله عنهما - فقال: هل يُنَاح على ميتكم؟ قال: لا. قال: وهل يجتمعون عند أهل الميت ويجعلون الطعام؟ قال: نعم. قال: ذلك النوح.^(٣)

(١) الإنكار (١٩٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) المغني (٢١٥/٢) وانظر في ذلك مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٦/٢٤) والحوادث والبدع للطرطوشي (١٣٣) والمدخل (٢٧٥/٣ - ٢٧٦) وبدع وأخطاء ومخالفات تتعلق بالجناز والقبور والتعازي، لأحمد بن عبدالله السليمي (٢٦٥ - ٢٦٦).

وقد أفتى جمع من المعاصرين بجواز الجلوس للتعزية واستقبال المعزين بشرط خلو المجلس من المنكرات والبدع كما سبق ذكره، منهم: الشيخ صالح ابن عبدالعزيز آل الشيخ، حيث ذكر أن الأصل كراهة الجلوس للتعزية وما فيه من المحدثات والبدع ثم استدرك قائلا: (وفي هذه الأزمان ربما لا يتمكن المعزون من التعزية مع التفرق إلى الأعمال، وهذا يجعل الاجتماع دون منكر يرخص فيه بعض الوقت، لأنه مما تتم به السنة، وما لم يتم المشروع إلا به فهو مشروع، والله أعلم)^(١).

وهذه الفتوى قد سبقه بها الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث ذكر جواز الاجتماع بدون صنع اللوائيم للمعزين، قال: (إذا جلسوا حتى يعزيهم الناس فلا حرج إن شاء الله، حتى لا يتعبوا الناس، لكن من دون أن يصنعوا للناس وليمة)^(٢).

وكأن الشيخ - والله أعلم - يرى أن حديث جرير السابق إنما يقصد به اجتماع الجلوس مع صنع الطعام، أما الجلوس واستقبال المعزين فلا بأس به.

ووافقه في ذلك الشيخ عبدالله بن جبرين حيث يقول: (وأرى أنهم لو حددوا وقتا كآخر النهار وأول الليل، وجلسوا في موضع للعزاء، فلا مانع من ذلك، فإن الناس قد يشق عليهم تتبع منازلهم)^(٣).

وممن أفتى بالجواز أيضاً: د.عبدالكريم زيدان، حيث رجح جواز الجلوس للتعزية بضوابط وقواعد أراها جيدة؛ ولذلك سأنقلها نصاً.

قال: (والراجع في مسألة الجلوس للتعزية: جوازها بشروط أو بقيود، أما أدلة جوازها فهي ما يأتي:

أولاً: لم يرد نص بالمنع من ذلك، بل استدلت المالكية بجلوس النبي - صلى الله عليه وسلم - في المسجد عند بلوغه خبر استشهاد جعفر وزيد

(١) المنظار (١١٩).

(٢) من أحكام الجنائز لابن باز (٣٥ - ٣٦).

(٣) المقرب لأحكام الجنائز (٩٩).

وابن رواحة في معركة مؤتة، استدلووا بذلك على جواز الجلوس للتعزية، وإن نازعهم غيرهم في هذا الاستدلال.

ثانياً: من المستحب: قيام المسلم بتعزية المصاب بمصيبة موت قريبه، لأن في هذه التعزية مواساة للمصاب وتسلية له، وإعانة له بتذكيره بضرورة الصبر، والأجر الذي ينتظره إذا صبر، كما أن في التعزية دعاء للميت، وأجرًا عظيمًا للمعزين، ولا شك أن مما يسهل حصول هذا المستحب شرعاً - وهو التعزية -: جلوس المصاب في البيت أو في مكان آخر معروف ويسهل الوصول إليه من قبل المعزين، وقد لا تتيسر التعزية إذا لم يعرف للمصاب مكان يجلس فيه، فتفوت هذه المصالح التي ذكرناها للمصاب وللميت وللمعزي.

ثالثاً: والجلوس للتعزية ثلاثة أيام مدة مناسبة ومقبولة إذ يمكن خلالها أن يعلم الناس بالوفاة، فيأتي الصديق والقريب للتعزية.

رابعاً: ولكن هذا الجلوس للتعزية يشترط له خلو مكان التعزية من الأمور الحادثة، وهي التي نشاهدها عند إقامة ما يسمى - (مجالس الفاتحة) مثل استئجار من يقرأ القرآن، مع العلم بعدم إنصات الحاضرين من المعزين لقراءة القرآن، ومثل تقديم (السكاير) والتدخين مكروه كراهة شديدة جداً^(١)، ومثل تكليف أهل الميت بعمل الطعام في اليوم الثالث للتعزية، فلا بد من خلو هذه الأمور الحادثة للقول بجواز الجلوس للتعزية، ويضاف إلى ذلك أن هذه النفقات تقتطع من تركة الميت التي آلت إلى الورثة، وقد يكون فيهم صغار، فلا يجوز مضارتهم بمثل هذه النفقات غير المبررة شرعاً.

خامساً: وفيما يخص مكان جلوس المصاب للتعزية يجوز أن يكون في بيته، أو في مكان آخر مناسب يسهل الوصول إليه، ويجوز في المسجد

(١) هذا رأي الدكتور عبدالكريم زيدان، والراجع - عند أكثر المعاصرين من العلماء - حرمة تناول التدخين؛ لثبوت ضرره بما لا يدع مجالاً للشك، والضرر مرفوع في الشريعة وقواعده كثيرة لا تخفى على كل ذي لب، وينظر في ذلك: الضرر في الفقه الإسلامي د. أحمد موافي.

للضرورة إذا لم يوجد مكان آخر، وعلى أن تكون التعزية فيه خارج أوقات الصلاة، وأن لا يلحق بالمصلين ضيق، أو يمنعهم من أداء الصلاة جلوس المصاب، ومجيء المعزين وقعودهم في مكان التعزية.

سادساً: ومع جواز الجلوس للتعزية، وحصول ما ذكرته من فوائد بالدعاء للميت والمصاب والمُعزي، فمن لا يجلس للتعزية لا يكون مقصراً، وله أسوة بالسلف الصالح الذين ما كانوا يجلسون للتعزية، وإنما كانوا يقومون بها في وقتها بعد الدفن أو قبله، ويمكن أن يحصل هذا - أيضاً - بدون الجلوس للتعزية^(١).

(١) المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم (١١/١٦٤ - ١٦٥).

الخاتمة

بعد إتمام البحث - بحمد لله وتوفيقه ومنته - توصلت إلى النتائج التالية:

- ١ - أن التعزية من الأمور المستحبة التي وردت بشأنها نصوص شرعية تفيد استحبابها، وترتب عليها الثواب والأجر للمعزي والمعزى.
- ٢ - أن المقصود من التعزية تهوين المصيبة على المعزى من أهل الميت، وتسليته عنها، وحضه على التزام الصبر، واحتساب الأجر، والرضا بقضاء الله وقدره.
- ٣ - التعزية تكون للجميع من أهل المصيبة: ذكراً وإناً، كباراً وصغاراً، إلا أن الفقهاء استثنوا من ذلك الصبي الصغير غير المميز لأنه لا يعقل معنى التعزية، وكذلك تعزية الرجل للشابة من غير محارمه، وعللوا لذلك الخوف من الفتنة.
- ٤ - التعزية تكون للمسلم عن ميتة المسلم، وللمسلم عن ميتة الكافر، وللکافر عن ميتة المسلم، وللکافر عن ميتة الكافر، لأن معنى التعزية وحكمتها تشمل جميع من ذكر، إلا أنه لا يجوز عند التعزية عن الميت الكافر الدعاء له بالرحمة أو الاستغفار لورود النهي عن ذلك.
- ٥ - لا يستحب تكرار التعزية، بل يكفي بها مرة واحدة، لحصول المقصود، ولذلك نص الفقهاء على كراهة تكرار التعزية، وأنه يكفي بها مرة واحدة فقط.
- ٦ - تجوز التعزية بأي صيغة شرعية تؤدي الغرض المقصود من التعزية، وهو تسلية المصاب، وحثه على الصبر، وعدم الجزع والتسخط على قضاء الله وقدره، إلا أن أصح صيغة وردت في السنة هي أن يقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. ومع ذلك يجوز أن يقال: أعظم الله أجرك، أو أحسن الله عزاءك، أو نحوها من الألفاظ الشرعية.

٧ - التعزية جائزة في كل وقت - قبل دفن الميت أو بعده - إلا أن أكثر الفقهاء يرون بأن الأفضل أن تكون التعزية بعد الدفن؛ لأن أهل الميت مشغولون بتجهيز الميت، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر. ويستثنى من ذلك حال جزع أهل الميت وشدته، فعند ذلك تكون التعزية قبل الدفن أفضل لهذا السبب.

٨ - ليس للتعزية مدة معينة، فهي مستحبة ومطلوبة متى ما كانت الحاجة داعية إليها، إلا أن أكثر الفقهاء يرى جواز تحديدها بثلاثة أيام قياساً على إحداد المرأة على غير زوج ثلاثة أيام، ولأن المقصود من التعزية والحكمة منها تسكين المصاب من أهل الميت، والغالب أن قلب المصاب يسكن ويهدأ بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن بالتعزية.

٩ - يجوز أن يجلس أهل الميت لاستقبال المعزين بشرط أن لا يصاحب هذا الجلوس منكر أو بدعة، بل يستقبل أهل الميت المعزين في البيت لمدة ثلاثة أيام أو أكثر أو أقل بحسب الحاجة إلى التسلية والمواساة، مع الحذر من البدع والمحرمات في هذا الاجتماع، كصنع الطعام، أو مجالس الفاتحة والختمة ونحوها، مما صرح الفقهاء ببدعيته وحرمته. والله أعلم.

المراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: كتب التفسير وعلومه:

[١] تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ثالثاً: كتب الحديث وشروحه:

[٢] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت.

[٣] تاريخ بغداد: لأبي بكر بن علي الخطيب البغدادي - تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٤] التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني - تصحيح: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.

[٥] سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه - تحقيق - محمد فؤاد عبدالباقي - المكتبة العلمية - بيروت.

[٦] سنن أبي داود: للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، ومعه معالم السنن: للخطابي - تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد - دار الحديث - حمص - سورية.

[٧] سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - تحقيق: أحمد شاكر - دار الكتب العلمية - بيروت.

[٨] السنن الكبرى: لأبي بكر محمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار الفكر - بيروت.

[٩] سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي - تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة - دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

[١٠] صحيح البخاري (الجامع المسند من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه): لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - المطبعة السلفية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٠هـ.

[١١] صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

[١٢] عون المعبود شرح سنن أبي داود: لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان - مؤسسة قرطبة - الطبعة الثانية - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

[١٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني - ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي - دار المعرفة - بيروت.

[١٤] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين الهيثمي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

[١٥] المستدرک على الصحيحين: لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص: للحافظ الذهبي - دار المعرفة - بيروت.

[١٦] مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[١٧] مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر الكنانى البوصيرى - دراسة كمال يوسف الحوت - دار الجنان - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

[١٨] مصنف ابن أبي شيبة - تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين - دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

[١٩] مصنف عبدالرزاق: للحافظ أبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

[٢٠] معجم الطبراني الكبير - تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي - دار البيان العربي.

[٢١] نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار: لمحمد بن علي الشوكاني - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة الأخيرة.

رابعاً: كتب الفقه:

أ - الفقه الحنفي:

[٢٢] تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق: لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي - دار الكتاب الإسلامي - مطابع الفاروق الحديثة - القاهرة - الطبعة الثانية.

[٢٣] رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[٢٤] الفتاوى الهندية في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان: للشيخ نظام وجماعة من علماء الهند - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الرابعة.

[٢٥] فتح القدير على الهداية: لكمال الدين محمد بن عبدالواحد - المعروف بابن الهمام - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية.

[٢٦] مراقي الفلاح: لحسن بن عمار الشرنبلالي - تحقيق: عبدالكريم العطا - مكتبة العلم الحديث.

ب - الفقه المالكي:

[٢٧] بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك: لأحمد بن محمد الصاوي - على الشرح الصغير: للدريد - مكتبة ومطبعة البابي الحلبي - مصر - الطبعة الأخيرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

[٢٨] حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: لشمس الدين محمد بن عرفة الدسوقي - دار الفكر - بيروت.

[٢٩] شرح الخرشي على مختصر خليل: لمحمد الخرشي المالكي - دار الفكر - بيروت.

[٣٠] الذخيرة: لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي - تحقيق: سعيد أعراب - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٤م.

[٣١] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: لأحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثالثة - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

[٣٢] مواهب الجليل شرح مختصر خليل: لمحمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي، المعروف بالخطاب - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ج - الفقه الشافعي:

[٣٣] أسنى المطالب شرح روض الطالب: لأبي يحيى زكريا الأنصاري - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

[٣٤] تحفة الحبيب على شرح الخطيب: للشيخ سليمان البجيرمي - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

[٣٥] حاشية الجمل على شرح المنهج: لسليمان الجمل - مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[٣٦] حاشية شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، وشهاب الدين أحمد، الملقب بعميرة، على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي على منهاج الطالبين للنفوي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة الثالثة - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

[٣٧] الحاوي الكبير شرح مختصر المزني: لأبي الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي - تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود - مكتب

دار الباز - مكة - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

[٣٨] حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء: لسيف الدين أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال - تحقيق: د. ياسين أحمد إبراهيم - مكتبة الرسالة الحديثة - عمان - الطبعة الأولى - ١٩٨٨م.

[٣٩] روضة الطالبين: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي - تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

[٤٠] المجموع شرح المذهب: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الفكر - بيروت.

[٤١] مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: لمحمد الشربيني الخطيب - شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

د - الفقه الحنبلي:

[٤٢] الإفصاح عن معاني الصحاح في مذاهب الأئمة الأربعة: للوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة - تحقيق: د. محمد يعقوب طالب عبيدي - مركز فجر للطباعة - القاهرة.

[٤٣] الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

[٤٤] الروض المربع شرح زاد المستقنع: لمنصور بن يونس البهوتي - تخريج: عبد القدوس محمد نذير - دار المؤيد - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[٤٥] الفروع: لشمس الدين المقدسي أبي عبدالله محمد بن مفلح - مراجعة: عبدالستار أحمد فراج - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[٤٦] كشف القناع عن متن الإقناع: لمنصور بن يونس البهوتي - عالم الكتب - بيروت.

[٤٧] المبدع في شرح المقنع: لأبي إسماعيل برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٠هـ.

[٤٨] مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم النجدي - دار عالم الكتب - الرياض - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

[٤٩] المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لمجد الدين أبي البركات - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

[٥٠] المستوعب: لنصير الدين محمد بن عبدالله السامري - تحقيق: مساعد الفالح - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

[٥١] المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل: لابن قدامة المقدسي - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

خامساً: كتب اللغة:

[٥٢] تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي - تحقيق: عبدالمجيد قطامش - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

[٥٣] لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن محرم بن منظور الأفريقي المصري - دار صادر - بيروت.

[٥٤] النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت.

سادساً: كتب متفرقة:

[٥٥] البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: لأحمد بن يحيى بن المرتضى - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

[٥٦] بدع وأخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بالجناز والقبور والتعازي: لأحمد بن عبدالله السلمي - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

[٥٧] الإبداع في مضار الابتداع: للشيخ علي محفوظ - دار الاعتصام - مصر.

The Rulings of Ta'ziah (Condolence): A Juristic Comparative Study

Dr. 'Adel Mubarak Mahdi Al-Mutairat,

*Dept. of Comparative Jurisprudence and Islamic Politics, Faculty of Sharia
and Islamic Studies, Kuwait University*

This paper addresses the rulings of condolence which is a part of the rulings of funerals usually affiliated to the section of Prayers. In this paper, the following points were clarified:

- The meaning of ta'ziah, which includes requesting and emphasizing patience through reminding of the reward assigned to it, praying of forgiveness for the deceased and of compensation for the afflicted.
- Ta'ziah is recommended and the condoler is rewarded
- The wisdom behind ta'ziah is that it eases calamity and urges the afflicted to stick to patience and to anticipate the reward of Allah.

It was clarified also that ta'ziah is to be offered to all relatives of the Muslim deceased regardless of their gender or age, and that it is permissible to offer condolence to Muslims in their non-Muslim deceased, and to non-Muslims in their Muslim deceased if it will accomplish some outweighing benefit.

In the paper, I mentioned the recommended version of ta'ziah and indicated that any other version can do as long as it is free from meanings rejected by Sharia, and consoles the afflicted relatives of the deceased.

Also, I mentioned that the recommended time of ta'ziah is after burial, but it could be done before if the afflicted is overwhelmed by impatience. Ta'ziah could be offered after the three days as long as it will console the afflicted, because this agrees with the purpose of its legislation by the Sharia.

Ta'ziah could be offered in any place, and there is nothing to prohibit assigning certain time or place to receive condolers as long as there is nothing unacceptable in the laws of the Sharia.

In all these issues, the jurists' opinions and proofs were mentioned in sufficient details and clarification. Through all these, the paper assumes important and offering a clear and comprehensive presentation of every thing relating to ta'ziah and its rulings.